مجلة كلية
الدعوة الإسلامية

العدد
السابع عشر
2000

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة - تصدر سنويا

1430 من ميلاد الرسول ﷺ الموافق 2000 افرنجي

ملامح ثقافية

عن علماء ليبيا وأدبائها في الأعصر الإسلامية

الدكتور الطيب الشريف
جامعة السابع من إبريل/ الزاوية

مدخل:

لم تخل ليبيا، على مر العصور، من علماء، وأدباء، ليبيين، كما زارها كثير من العلماء الرُحّل، واستوطنها علماء من المشرق، والمغرب، فكان لهؤلاء، وأولئك أثر واضح في إنعاش مسيرة الحياة الثقافية، واستمراريتها، حية، نشطة عبر الأعصر الإسلامية، وليس أدل على ذلك من أن الطلاب الليبيين، الذين لم تمكنهم ظروفهم من الهجرة في سبيل طلب العلم، قد وجدوا في هؤلاء الأساتذة، غنى عن الهجرة، حيث أفادوا منهم، بما أهّلهم للتصدي للفتوى، وتصدُّر مجالس العلم، والتأليف في شتى علوم العصر، وكانوا في هذه المجالات، وما شابهها، محل تقدير، وامتداحٍ، من مشايخهم، وتلاميذهم

وغيرهم، كما ورد في بعض المصادر، من أن عدداً من العلماء الليبيين، ممن كانت لهم شهرة واسعة، لم يغادروا ليبيا لطلب العلم[1].

أما من ساعدتهم ظروفهم على طلب العلم في الخارج: في تونس، ومصر، أو الحجاز والشام، وسواها، فقد كانت أمامهم الفرص أرحب للقاء العلماء، والاطلاع على المكتبات، والتنافس في مختلف ميادين الثقافة، وقد نبغ منهم الكثيرون، فشاركوا في مختلف ميادين المعرفة، وكانوا في مستوى نظرائهم: مقدرة، وكفاءة ومنزلة رفيعة محترمة كما سيأتي توضيحه تباعاً، في هذا البحث إن شاء اللّه.

وهؤلاء العلماء، والأدباء: الليبيون، والزائرون، من الكثرة بحيث يصعب استقصاؤهم، وحصرهم، في هذا البحث المختصر، ولكن ذلك لا يمنع من إلقاء الضوء على بعضٍ منهم، ومتابعة نتف من أخبارهم، والدلالة على مصادرها، استيضاحاً لمكانتهم العلمية وأثرهم في المحافظة على مسيرة الحياة الثقافية، وتواصلها عبر الأعصر الإسلامية، والقصد من وراء ذلك، لفت أنظار البحاث إلى هذا الميدان الخصب، المغمور المُغَشَّىٰ بتراكم غُبار السنين والمحاط بمجاهل الإهمال، والنِّسيان، علَّهم يستطيعون اقتحام المصاعب إليه، فيجدون فيه ما يُغري بالانتجاع فيستفيدون، ويفيدون.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن هذا البحث مقسم إلى مباحث فرعية، تبدأ بمتابعة أخبار بعض العلماء والأدباء الليبيين، ممن كانت لهم شهرة واسعة، في الداخل، والخارج، ولهم مؤلفات، ومشاركات علمية، وأدبية تُذكر، ثم عرض لأخبار بعض العلماء الزائرين من المشرق، والمغرب، ممن كانت لهم رحلات لطلب العلم، أو التجارة، أو الحج، أو غيرها من الأغراض، فمرّوا بليبيا مُشرقين، ومغربين، وشاركوا، بما تيسّر لهم، في بناء نهضتها الثقافية، ثم التعريف ببعض الشخصيات: العلمية، والأدبية، المشهورة من الليبيين، ممن اقتصر تعليمهم على ليبيا وحدها، ولم تكن لهم رحلات علمية للخارج، وخاتمة البحث: مبحث خاص بالتعريف ببعض العلماء الليبيين الذين كانت لهم

(1) سيأتي توضيح ذلك في المبحث الأخير.

مشاركات علمية، وأدبية، خارج ليبيا، كالذين كانوا يُستَدعَون من قبل بعض حكام البلدان العربية، شرقاً وغرباً، أو علمائها، لشغل مناصب القضاء، أو الفتيا، أو الخطابة، أو للمناظرة، والمجادلة، أو لغيرها من المهام، وما لذلك من دلالة واضحة على مدى غنى ليبيا بالعلماء، والأدباء، وأهميتهم، ومكانتهم بين نظرائهم من العلماء، والأدباء، خارج ليبيا.

والمُراعى في هذا البحث، عموماً، الاختصار في التعريف بالشخصيات، والاكتفاء بنماذج موزعة على مختلف العصور، ثم الإحالة على المصادر لمن أراد الاستزادة، وذلك لوفرة العلماء في أغلب فروع العلوم المنتشرة آنذاك، وضيق المقام عن الحصر، والاستقصاء، إذ الغاية التدليل على أن ليبيا لم تكن، في عصر من العصور، مَعَرَّاة من المعرفة، ولا خِلْواً من العلماء والمثقفين، كما يتراءى للبعض، ممن عَنَّ لهم القدح فيها، واتهامها بالجهل دون استثناء ودون تَروٍّ، أو تَثَبّت[2].

علماء ليبيون وأدباء:

تحت هذا العنوان نورد تراجم مختصرة لعدد من العلماء الليبيين والأدباء، ممن كانت لهم شهرة، ومشاركات علمية، أو أدبية تذكر، على وجه من الوجوه، كما يلي:

ابن مغطير النفّوسيّ[3]:

هو محمد بن عبد الحميد بن مغطير، النفُّوسيّ، الجنَّاوني[4]، من علماء

---

(2) مثل: العبدري، الذي تحامل عليها، وعلى علمائها دون تمييز، ينظر عبد الله محمد بن محمد العبدري الحجي، رحلة العبدري، تحقيق وتعليق: محمد الفاسي، (ط:1، وزارة الدولة، الرباط، المغرب، 1968): 16 وما بعدها.

(3) النَّفّوسيّ: نسبة إلى جبل نفّوسة، ويُسمى الجبل الغربي أيضاً، وهو جزء من سلسلة جبال أطلس المار بالجزائر، وتونس، ونفُّوسة التي ارتبط اسمها بالجبل،: قبيلة من أشهر قبائل البربر، منسوبة إلى نفوس بن رحيك الأبتر، وقد استوطنت هذه القبيلة الجبل المذكور، فسمي باسمها، ولم يخل جبل نفُّوسة من وجود مدارسَ، وعلماء، في مختلف العلوم، منذ الفتح الإسلامي إلى الآن (1999)، ينظر: الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، (ط:1، دار مكتبة النور، طرابلس ليبيا، 1968): 97 وما بعدها.

(4) الجنَّاوني: نسبة إلى بلدة صغيرة بجبل نفوسة، اسمها (جنَّاون).

جبل نفوسة، فقيهاً، فاضلاً، مفتياً، له هيبة، ووقار، وهو أول من جمع القرآن كله في جبل نفُوسة، وحَفِظه، وعلّمه للناس، كان موجوداً عام 135هـ[5].

ابن زياد:

وهو أبو الحسن علي بن زياد، من علماء القرن الثاني الهجري، نشأ في طرابلس، وتعلم بها، ثم سكن تونس، واشتهر بين علمائها.

كان فقيهاً، ثقة، سمع عن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وابن لهيعة، وغيرهم، وسمع عنه سحنون، وابن الفرات، وسواهم، من مشاهير العلماء، تذكر المصادر أنه لم يكن بإفريقية في عصره مثله، ولم يكن سحنون يُقدِّم عليه أحداً من أهل إفريقية، ولم يكن فيها أحد أعرف منه بضبط العلم ومنازل العلماء، (ت183هـ)[6].

محمد البرقي[7]:

هو محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحيم بن أبي زرعة، البرقي، نسبة إلى برقة، كان فقيهاً، عالماً، سكن مصر، وبيته فيها بيت علم مشهور، له تآليف كثيرة، منها: مؤلَّف في مختصر ابن عبد الحكم، وكتاب في التاريخ، وآخر في الطبقات، وله كتابات في رجال الموطأ، وفي غريبه، توفي في منتصف القرن الثالث الهجري (249هـ)[8].

عبد الجبّار السُّرتي[9]:

هو عبد الجبّار بن خالد بن عمران السُّرتي، نسبة إلى سرت، المنطقة

---

(5) ينظر: أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي، (ط11، منشورات كلية التربية، الجامعة الليبية 1971): 133 ـ 134.

(6) السابق: 132.

(7) البرقي: نسبة إلى بَرْقَة، المنطقة الواقعة بين حدود مصر شرقاً، وحدود طرابلس غرباً، وهي تسمية تطلق على مدن ليبيا الشرقية، ينظر: معجم البلدان الليبية: 56 وما بعدها.

(8) ينظر: النشاط الثقافي في ليبيا: 136، وأعلام ليبيا للطاهر الزاوي: 282.

(9) السُّرتي: نِسْبة إلى سُرْت، المنطقة الوسطى من ليبيا، الواقعة بين مصراتة غرباً، وأجدابيا شرقاً، ينظر: معجم البلدا ن الليبية: 188 وما بعدها.

الوسطى من ليبيا، من مشايخه سحنون، وغيره من مشاهير عصره، بلغ في العلم درجة عالية، حتى عُدَّ من أكابر العلماء، وهو في محل الرضاء، والإعجاب من أساتذته، وليس أدل على ذلك من أن سحنون كان لا يبدأ في درسه إلا بعد حضور عبد الجبار مجلسه، ويسأل عنه إذا تأخر، أو غاب، وكان السِّرتي في العلم من طبقة سحنون، وبه يضرب المثل في الفضل، والتدين، في إفريقية وكان طلابه يتسابقون إلى مجلسه، حتى يغص بهم المجلس، (ت281هـ)[10].

ابن زكرُون:

هو علي بن أحمد بن زكريا بن الخطيب بن زكرون، الطرابلسي، الهاشمي فقيه محدث، ناسك، زاهد، أخذ العلم عن أبي عبد اللّه الجيزي، وابن المنذر وابن شعبان، وابن الأعرابي، وابن الجارود، وغيرهم، ومن تلاميذه أبو الحسن القابسي، وأبو علي الحسن، قاضي طرابلس الغرب، وعبدوس الطليطلي، والوليد بن بكر الأندلسي، وسواهم من العلماء.

«انتفع به أهل طرابلس، وتعلموا منه الفقه، والحديث، والنسك... وقد صحب جماعة من النُّسَّاك»[11].

كان رجلاً صالحاً، متعبداً، له تآليف كثيرة في الفقه، والفرائض، وغيرها من العلوم الشرعية، (ت370)[12].

ابن المنمِّر الطرابلسي:

هو علي بن محمد المنتصر بن المنمِّر، الطرابلسي، ولد بطرابلس، وبها نشأ، وحفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادىء العلوم عن بعض أساتذتها، ثم رحل إلى المشرق فحجَّ، وأخذ العلم عن عدد من أكابر العلماء، مثل: ابن زريق

---

(10) ينظر: الطاهر أحمد الزاوي أعلام ليبيا، (ط:1، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1961): 149 ـ 150.

(11) السَّابق: 205.

(12) ينظر: السابق.

البغدادي، والقاسم الجوهري، وأمثالهما، وعاد إلى طرابلس: فانتفع به طلاب العلم، المقيمون، والزائرون مثل: يوسف بن عبد الرحمن بن حماد المجريطي[13]، الذي لازمه فترة، لما مر بطرابلس في رحلته إلى المشرق، وقرأ عليه كتابه في الفرائض.

كان ابن المنمِّر من أعيان العلماء المبرزين، عارفاً بالنحو، واللغة، والأدب، بارعاً في الحديث والفقه، والأصول، وغيرها من العلوم، مثل: علوم: الفرائض، والفلك، والحساب، له تآليف كثيرة في العلوم الشرعية، والأزمنة، والحساب، وكان مقدماً لدى العلماء، والوجهاء.

شُهر ابن المنمّر بقوة إرادته، وشدته في مناصرة الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، ومن ذلك أنه كان من ألَدِّ خصوم العُبيديين[14]، وأكبر معارضيهم، لمّا نشروا بدعهم في الدين، في الشمال الإفريقي مثل منعهم لصلاة التراويح، وصلاة الضحى، وزيادتهم عبارة: «حَيَّ على خير العمل» في الأذان، وقد أفتى ببطلان مذهبهم، ونَبْذ بدعهم، وهو أول من نادى بإبطال «حَيَّ على خير العمل» من الأذان، وأذنَّ أذان السنة بنفسه، وأمر الناس بصلاة ركعتي الضحى، وكان العبيديون يقتلون من صلاهما، وصلى بالناس صلاة التراويح، في طرابلس، وأعاد ما كانوا أبطلوه من معالم السنة.

ولما تغلب ابن خذرون[15] على طرابلس، عمل على إرضاء العُبيديين، لأنه من أنصارهم، فافتتح عهده بالقبض على ابن المنمّر، وجرَّعه كؤوس الذل،

---

(13) المَجْرِيطي: نَسبة إلى مَجْريط، بلدة بالأندلس، ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي معجم البلدان، (لا. ط. دار صادر، بيروت، 1977): 5: 58.

(14) العُبيديون: نسبة إلى عُبَيد الله المهدي، استمر حكمهم للمغرب العربي من (296 ـ 565هـ) ينظر: أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، (ط: 1، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، لا.ت): 1: 81.

(15) هو المنتصر بن خذرون، وقد قام على خذرون بن خليفة واحتل منه طرابلس عام 430هـ، ينظر: أعلام ليبيا 216 وما بعدها، ومحمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، نور عبد السلام أدهم، ومحمد الأسطى، (ط: 1، الجامعة الليبية، كلية الآداب 1970) 139 وما بعدها.

والإهانة، حيث شرّد عنه تلاميذه وأتباعه، ومنعه من التدريس، وصادر ممتلكاته، وضيَّق عليه في رزقه، ثم نفاه إلى بلدة غنيمة[16]، فبقي بها إلى آخر حياته، (ت432هـ)، ودفن بمنفاه، وقَبره لا يزال معروفاً هناك[17].

محمد الأجدابي[18]:

هو محمد بن سعيد بن شرف الأجدابي، نسبة إلى أجدابيا، عالم كبير، وأديب بارع، ورد في نعته: «نظم قلائد الأدب، وجمع أشتات الصواب وتلاعب بالمنثور، والمنظوم، تلاعب الريح بأعطاف الغصون»[19].

له عدة تآليف، منها: أعلام الكلام، وأبكار الأفكار، عاصر ابن رشيق القيرواني، وبينهما مطارحات شعرية، منها: لما سمع قول ابن رشيق، متذمراً من أهل زمانه باثاً شكواه منهم:

مما يُبغّضني في أرض أندلسٍ سماعُ مقتدِرٍ فيها ومعتضدِ
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد[20]

والأبيات مشهورة، جرت بها الألسن، وصارت مضرب المثل، لما سمعها الأجدابي، رد عليه بقوله:

إن تَرْمِكَ الغُرْبَةِ في معشَر قد جُبِل الطبع على بغضهم
فَدَارِهم ما دُمتَ في دَارِهم وأرْضهم مادمت في أرضهم[21]

---

(16) غنيمة: بلدة صغيرة من بلدان مسلاَّته، تقع شرقي طرابلس بنحو (125 خمسة وعشرين ومائة كيلومتر، ينظر: معجم البلدان الليبية: 245.

(17) ينظر: أعلام ليبيا: 216 وما بعدها، وعلي مصطفى المصراتي، أعلام من طرابلس، (ط: 2، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1972): 28 وما بعدها.

(18) نسبة إلى إجدابيا: وهي مدينة قديمة، مشهورة، تقع جنوب مدينة بنغازي، بنحو (160) ستين ومائة كيلو متر، ينظر: معجم البلدان الليبية: 20 وما بعدها.

(19) ينظر: أعلام ليبيا: 260.

(20) السابق.

(21) السابق.

وأبيات الأجدابي هنا، لا تقل شهرة عن أبيات ابن رشيق هناك، وشعره، عموماً، جيد، راق، منه قوله:

كُسِيتُ قِنَاع الشَّيْب قبل أَوَانه وجِسْمِي عليه للشباب وِشَاح
ويا رُبَّ وجهٍ فيه للعين نُزهةٌ أُمانع عيني منه وهو مُباحٌ
وأهجُرُهُ وهو اقْتِرَاحِي من الورى وقد تُهجَر الأمْوَاه وهي قَراح[22]

وُصف بالعلم، والذكاء، والعقل، والحزم، كان موجوداً عام 447هـ[23].

ابن البرقيّ:

هو علي بن محمد المعروف بابن البرقي، نسبة إلى برقة، الجزء الشرقي من ليبيا، كان أديباً، شاعراً، بينه وبين أدباء عصره مكاتبات، وردود، ومودة، وتقارب ومن شعره، قوله:

رَمَاني الدهر منه بكل سَهْم وفَرَّق بين أحبابي وبَيْني
ففي قلبي حَرَارةُ كلِّ قلب وفي عيني مدامِعُ كلِّ عَين[24]

وقوله:

ولي سَنَةٌ لم أدر ما سِنَة الكَرى كأن جفوني مَسْمَعٌ والكرى عذل[25]

الأبيات تنبىء عن شاعرية جيدة، وحسن مرهف، وذوق أدبي رفيع، لم تورد له المصادر إلا نتفاً يسيرة، (ت: 522هـ)[26].

---

(22) السابق.
(23) ينظر: السابق.
(24) أعلام ليبيا: 214.
(25) السابق.
(26) ينظر: السابق.

أبو الحسن الهواري[27]:

هو أبو الحسن بن موسى بن عمران الهواري، الطرابلسي، أخذ علومه الأولى عن علماء طرابلس، ثم رحل إلى تونس، فأكمل علومه، وتفقه عن علمائها، من أبرز أساتذته أبو موسى زكريا البوني، كان خطيباً، أديباً، فقيهاً، عالماً، له شعر رقيق، جيد، من قوله في معاندة الزمان، ومعاكسة الظروف له:

آهاً نُردِّد لو تَشْفِي لَنَا كُرَبا ... وبالتَّعلات نحيا لو قَضَتْ أرباً
وبالأماني ينال القلبُ بُغيتَه ... وقد تَحقَّق من معتادها كذبا
يرتاح إن لاح برق من جَهَامَتِها ... وما تراءى له إلا وقد ذهبا
يُسَرّ إن مُدَّ يوماً حبْلُ مُنْيَتِه ... وما تطاول إلا جُذَّ وانقضبا[28]

والأبيات معبرة على مدى تحسّره، وكمده، فهو لا يملك إلا الآهات، وتعليل النفس بالأماني، وهي لا تشفي غليلاً، ولا تفيد قليلاً، ولا كثيراً.

وما زاد في شقائه، وتعاسته، فضول لسانه، الذي امتحنُ من أجله عدة مرات وتعرض للإهانة، والسِّجن[29]، ومن شعره في الرد على صديق له، شاعر، كان مسجوناً معه[30]، فكتب له أبياتاً يهنئه بالعفو عنه، قوله:

لئن سرَّني فَكّ الأَسارىٰ من الحبس ... فقد ساءني فَقْدِي لما فيه من أُنْسِي
ولو أنني خُيِّرت فيما أُريده ... لآثرتُ تقديمي سَراحك عن نفسي[31]

وله مقطوعات في الإخوانيات، ولد بطرابلس عام 606هـ[32].

---

(27) الهواري: لعله من النسبة إلى قبيلة (هوَّارة) البربرية، وهي واحدة من أكبر القبائل في ليبيا، وأشهرها ينظر تاريخ طرابلس الغرب: 114، والهواري أيضاً: اسم واحة من واحات الكفرة، ينظر: معجم البلدان الليبية: 334.

(28) أعلام ليبيا: 24 ـ 25.

(29) سجنه الخليفة المستنصر في المهدية، عام 667هـ، وبقي في سجنه سنة كاملة، ينظر: أعلام من طرابلس: 79 وما بعدها، وأعلام ليبيا: 23 وما بعدها.

(30) هو أبو عبد الله محمد بن يحيىٰ الفضلي، ينظر: أعلام من طرابلس: 82، وأعلام ليبيا: 24.

(31) أعلام ليبيا: 24.

(32) ينظر: أعلام ليبيا: 23 وما بعدها، وأعلام ممن طربلس: 79 وما بعدها.

الجيطالي[33] النّفوسيّ:

هو أبو طاهر إسماعيل بن موسى، الجيطالي، النفّوسيّ، أخذ العلم عن أئمة الجبل، وفي مقدمتهم: أبو موسى الطّرْميسيّ[34]، وأمضى سنوات طويلة متنقلاً بين مدن الجبل، مدرِّساً، ومربياً، ثم ذهب إلى طرابلس[35]، وبعدها قصد مدينة جربة، بالجنوب التونسي، فتلقاه علماؤها بالترحاب، واجتمع إليه الطلبة، وكان يُقرِىء، ويصنف في المجلس الواحد.

ترك الجيطالي وراءه مصنفات كثيرة، أغلبها في الدراسات الإسلامية، منها، على سبيل المثال: كتاب الحج والمناسك، وكتاب في الفرائض، وقواعد الإسلام، وقناطر الخيرات، وغيرها، وله كتاب في الأدب يضم مجموعة قصائد، ولكثرة مصنفاته، وتركه مكتبة كبيرة لا تقل عما تركه، الفيلسوف أبو حامد الغزالي، لُقِّب بفيلسوف الإسلام.

طُبعت له بعض الكتب حديثاً، مثل كتابه: قناطر الخيرات، الذي تم طبعه عام 1307هـ في ثلاثة أجزاء، ثم أعيد طبعه عام 1385هـ، (ت750هـ) بتونس[36].

أبو يوسف اليفرني[37]:

هو أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن موسى، اليفرني، نشأ ببلدة يفرن بجبل نفوسة، وتعلم في كُتّابها، وأخذ بها مبادىء العلوم المتداولة في عصره، ثم رحل إلى تونس فأكمل تعليمه، ونال شهرة واسعة في علوم اللغة، أثنى عليه

---

(33) الجيطالي: نسبة إلى (جيطال)، مدينة فسيحة بجبل نفّوسة، تحيط بها الأشجار من جميع الجهات، ينظر النشاط الثقافي: 133.

(34) الطرميسيّ: نِسْبة إلى (طَرْمِيس)، قرية من قرى دمشق، ينظر: معجم البلدان: 4: 32.

(35) لم يهنأ في إقامته بطرابلس، حيث سجنه حاكمها بسبب وشاية حاسِدٍ، ثم أُطلق سراحه فقصد تونس، ينظر: النشاط الثاني في ليبيا: 155.

(36) ينظر: السابق 155 وما بعدها.

(37) اليَفْرَني: نسبة إلى يَفْرَن)، مدينة كبيرة في جبل نفّوسة، تبعد عن طرابلس (171) واحداً وسبعين ومائة كيلومتر، انظر معجم البلدان الليبية: 359.

كثير من أساتذة تونس، وقالوا: ما في تونس أنحى منه، ويؤيد ذلك: أنه اختلف مع بعض أهل اللغة في مسألة نحوية، فاستشهد ما يقرب من (20) عشرين شاهداً، من أشعار العرب لإثباتها، قيل عنه: كان لا يلحن في إعراب، ولا تصريف، وورد في التعبير عن مكانته العلمية: «أما النحو، فعشُّه الذي يعرف كيف يدخل فيه ويخرج، وأما اللغة، والتصريف فيا للعجب!! وأما التفسير فلو ادعى أحد أنه ما شذَّ عليه[38] شيء من التفسير، ما كذب..»[39]، وعلى الرغم من تبحره في العمل، فإنه لم يترك تآليفاً، (ت: 894هـ)[40].

الحطَّاب الصَّغير[41]:

هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسين الحطَّاب، عالم كبير، متنوع الثقافة، مكثر من كل فن، من أساتذته: ابن حجر، والسيوطي، والسخاوي، والبرهان القلقشندي، والصاغاني وغيرهم من جلة العلماء، أخذ عنه: عبد الرحمن التاجوري، ومحمد القيس، ومحمد الفلّاني. وسواهم.

تبحر في علوم الشريعة، وعلوم اللغة، والرياضيات، وأحاط بسائر فنون عصره، عُدَّ من كبار أئمة المالكية بالحجاز، وآخرهم[42]، تدل على إمامته كثرة تآليفه في مختلف العلوم، فمن تآليفه في العلوم الشرعية مثلاً: شرح مختصر خليل في الفقه، شرح قرة العين في الأصول، لإمام الحرمين، تحرير الكلام من مسائل الالتزام[43]، هداية السَّالك، وغيرها كثير، ومن تآليفه في علوم اللغة: مختصر إعراب خالد الأزهري للألفية حاشية على توضيح النحو، والمواضع

---

(38) صوابها: عنه.

(39) النشاط الثقافي في ليبيا: 282.

(40) ينظر: السابق.

(41) وصف بـ(الصَّغير)، تمييزاً له عن الحطّاب (الكبير)، وهو أبوه، واسمه محمد «أيضاً، وكان عالماً كبيراً، ينظر: أعلام ليبيا: 309.

(42) ينظر: المنهل العذب: 194 ـ 195.

(43) أي: إلزام الرجل نفسه.

التي غلط فيها القاموس، والصحاح، وسواها[44].

كان مقدماً لدى العلماء، محبوباً من تلاميذه، توفي في طرابلس عام 954هـ، ودفن داخل المدينة[45].

وغيرهم من العلماء، والأدباء، الأعلام، المشاهير في كل العصور، أمثال: الخرّوبي وابن أبي الدنيا، والبرقي، والجنزوري، والأجدابي اللغوي، ومن على شاكلتهم، وهم كثر.

وإنما وقع الاختيار على من سبقت الترجمة لهم، موزعين على مختلف العصور، من القرن الثاني الهجري، إلى القرن العاشر، لمجرد إعطاء أمثلة توضيحية للمسيرة العلمية والثقافية في ليبيا، خلال الأعصر الإسلامية، مع ملاحظة أنهم يمثلون كلّ التخصصات المتداولة آنذاك، من إسلاميات، ولغويات، وأدبيات، وفلسفة، وفلك، وتصوف وما شابهها، وأنهم من مشاهير العلماء، وأكثرهم لهم مصنفات منوعة، ومما لا شك فيه أنه يوجد العشرات من أمثالهم، وأكثر من ذلك يوجد العشرات من العلماء الذين لم يصلوا إلى شهرتهم، ولم تكن لهم تآليف، وللإلمام ببعض هؤلاء، وأولئك، يمكن الرجوع إلى المصادر التخصصية[46].

الأساتذة الزائرون والطلاب:

مَرّ بليبيا كثير من العلماء، وطالبي العلم، فأفادوا، واستفادوا وأحدثوا بزياراتهم تلك، نشاطات علمية في مختلف الميادين، على مر العصور، ولا يخفى أن ذلك راجع إلى الموقع الجغرافي للبلد الذي يحتم على كل من يريد العبور من المشرق إلى المغرب، أو العكس، أو الدخول إلى أواسط إفريقيا، أن

---

(44) ينظر: السابق: 195 وما بعدها، وأعلام ليبيا: 312 وما بعدها.

(45) ينظر: أعلام ليبيا: 311 وما بعدها.

(46) لمزيد اطلاع، ينظر على سبيل المثال: المنهل العذب، أعلام ليبيا، أعلام من طرابلس، النشاط الثقافي في ليبيا، وغيرها من المصادر.

يمر به، ونظراً لوقوعه، على البحر، واعتدال هوائه، فقد يُغري البعض بالإقامة، والاستقرار، أو تطويل مُدَّة الإقامة.

وبعض أولئك الأساتذة كانوا يأتون إلى ليبيا لتولي مناصب القضاء، أو الفُتيا، أو لإدارة بعض الوظائف الرسمية في الدولة، وقد كَثُر الأساتذة الزائرون حتى إنهم شاركوا في إغناء بعض الطلاب الليبيين، عن الرحلة إلى الخارج، لطلب العلم، مثل: ابن الأجدابي، العالم المشهور، الذي سُئل: أنى لك هذا العلم ولم ترتحل؟ فقال: «اكتسبته من بابي: هوارة، وزناتة»[47]، يشير إلى أنه استفاد من الأساتذة الزائرين الذين كانوا يدخلون إلى مدينة طرابلس من هذين البابين[48].

وقد يكون البعض بالغ في تقدير قيمة هؤلاء الأساتذة الزائرين، لمَّا قال: «إن طرابلس كانت تعتمد في ثقافتها على من يفد إليها من الحُجَّاح، وطلاب العلم، مشرقين، ومغربين، وعلى من يَسْتصحبهم من أمراءُ إفريقيا في طريقهم إلى الحج، من أهل العلم، والفضل»[49]، إذ يبدو واضحاً من النص تجاهل علماء ليبيا، وهو مخالف للواقع، فليبيا لها علماؤها على مر العصور، وقد أفادوا، واستفادوا كما يتضح من هذا البحث.

ومن أولئك الأساتذة الزائرين، والطلاب، على سبيل المثال فقط:

---

(47) باب هوارة: فتحة في سور طرابلس القديم، من الجهة الجنوبية، توصل إلى مضارب قبيلة هوارة البربريَّة، خارج السّور، شرقي المدينة، وجنوبيها، وباب زناتة: هو الباب المؤدي إلى مضارب قبيلة زناتة البربرية، غربي المدينة وجنوبها، وهذه التسميات كانت زمن الفتح الإسلامي، ثم جلت القبيلتان من تلك المناطق، ولم يعد للتسمية وجود الآن (1999)، حيث استبدل بباب هوارة، سوق المشير، المؤدي إلى السَّاحة الخضراء (ميدان الشهداء)، وبباب «زناتة» بالباب الجديد، ينظر: معجم البلدان الليبية: 43 وما بعدها، والواقع المشاهد.

(48) ينظر: عبد اللّه بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، (لا.ط، الدار العربية للكتاب، (198): 264.

(49) ينظر: النشاط الثقافي في ليبيا: 118.

سحنون:

هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب، التَّنوخي[50]، الملقَّب بسحنون صاحب مالك بن أنس، رضي الله عنه، ولُقِب بالإمام، لِسعة علمه، انتشر مذهب الإمام مالك، بالمغرب العربي، على يديه، ومن مآثره: أنه وَلي قضاء إفريقيا دون أن يتقاضى عليه أجراً.

كان قدومه إلى ليبيا عام 191هـ، ويبدو أنه أول ما نزل بمدينة أجدابيا، فقد ذكر حمديس القطّان: أنه سمع سحنوناً يقول: «سمع مني العلم سنة إحدى وتسعين ومائة أهل إجدابية»[51]، ثم انتقل إلى طرابلس، فاتخذها مقاماً له فترة من الزمن، فأفاد كثيراً من الطلاب، وكان شديد الإعجاب بتلاميذه، فخوراً بهم، كثير الثناء عليهم[52]، (ت: 240هـ)[53].

محمد الأندلسي:

هو محمد بن وضاح بن بزيغ، الأندلسي، رحل من الأندلس إلى المشرق، عام 218هـ فمر بطرابلس، وأفاد من عالمها إبراهيم بن حسان الطرابلسي[54].

ابن فُطيس:

هو محمد بن فُطيس بن واصل، الغافقي، أندلسي الأصل، من أهل إلبيرة غربي غرناطة، رحل إلى المشرق عام 257هـ، ثم عاد إلى إلبيرة، أخذ

---

(50) التَّنوخي: نسبة إلى تَنُوخ: قبيلة عربية، مسيحيَّة، من الحيرة، انتقلت إلى بلاد حلب، واعتنقت الإسلام في عهد المهدي العباسي، ينسب إليها علماء كثر، ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، (ط: 34، دار الشروق، بيروت 1994): 181. أعلام.

(51) النشاط الثقافي في ليبيا: 130.

(52) ورد عن سحنون قوله: «كان بإفريقية رجال عدول، بعضهم بالقيروان، وتونس، وطرابلس... لو قُرنوا إلى مالك بن دينار لسَاووه»، ومما نُقل عنه أيضاً، قوله: «رأيت بطرابلس رجالاً ما الفضيل بنُ عياض بأفضل منهم»، عن السابق: 130 ـ 131.

(53) ينظر: الأعلام: 4: 129.

(54) ينظر: أعلام ليبيا: 5.

العلم عن بعض علماء ليبيا، في مروره بها أثناء رحلته[55].

أبو الحسن العجلي[56]:

هو أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، كوفي الأصل، نشأ ببغداد ثم انتقل إلى المغرب العربي، فسكن طرابلس، وانتشر حديثه فيها، كان يُشبَّه بأحمد بن حنبل في سعة علمه، وشهرته، وكان خروجه إلى المغرب، أيام محنة ابن حنبل، (ت: 261هـ)[57].

ابن عيسى البَيَّاني[58]:

هو محمد بن عيسى البياني، عالم أندلسي، مر بليبيا أثناء رحلته إلى المشرق فأخذ عنه العلم بعض الطلاب الليبيين، منهم: أحمد بن الحسين بن محمد الطرابلسي، بطرابلس عام 332هـ، وحماد بن شقران، ببرقة، عام 338هـ، وحدث عنه[59].

البَطَلْيُوسي[60]:

هو هاشم بن يحيى بن حجاج، البطليوسي، الأندلسي، قام برحلة إلى المشرق فمر بطرابلس، وسمع من عالمها أبي بكر بن دحمان المصِّيصي[61]، الطرابلسي، عام 338هـ[62].

---

(55) ينظر: السابق: 39.

(56) العِجلي: نسبة إلى (عِجلَة)، بكسر العين، موضع قرب الأنبار، ينظر: معجم البلدان: 4: 87.

(57) ينظر: النشاط الثقافي في ليبيا: 136.

(58) البَيَّاني: لعله من النسبة إلى (بيَّان) بياء موحدَّة، وياء مثناة مشدَّدة: إقليم من أعمال بطليُوس، أو من النسبة إلى (بيَّانة) با لأندلس أيضاً بالقرب من قرطبة، ينظر معجم البلدان: 1: 518.

(59) ينظر: أعلام ليبيا: 31.

(60) البَطَلْيُوسي: نسبة إلى بَطَلْيُوس (بفتحتين وسكون اللام، وياء مضمومة)، مدينة كبيرة بالأندلس تقع غربي قرطبة، ينظر: معجم البلدان: 1: 1447.

(61) المصِّيصي: نسبة إلى مصِّيصَة، (بميم مفتوحة، وصاد مشدودة مكسورة، ثم ياء ساكنة، بعدها صاد مفتوحة) وهما مصِّيصتان، كلتاهما بالشام، الأولى: مدينة على شاطىء جيحان، قريبة من طرسوس، والثانية: قرية من قرى دمشق، ينظر: معجم البلدان: 5: 144 ـ 145.

(62) ينظر: أعلام ليبيا: 18.

أبو محمد الغِمَاري[63]:

هو أبو محمد عبد اللّه بن عبد الكريم، الغِماري، مغربي الأصل، فقيه، محدث، أديب، شاعر، مر بطرابلس قاصداً المشرق، عام 654هـ، فطاب له المقام بها، وطالت إقامته، فَدَرَس عليه طلاب كثيرون، منهم مثلاً: أبو فارس ابن عُبَيدة، العالم المشهور، وقد أخذ عنه علوماً عدة[64].

أبو الحسن البَسْطي[65]:

هو أبو الحسن محمد بن إبراهيم، الأندلسي، البَسْطي، مر بطرابلس عائداً من الحج في طريقه إلى الأندلس، مع منتصف القرن السَّابع الهجري، تقريباً.

كان عالماً عَلَماً، أديباً، شاعراً، كاتباً، ناقداً، تصدى للتدريس في طرابلس مدة من الزمن، تتلمذ عليه طلاب كثيرون، منهم ابن عُبيدة، السابق الذكر[66].

أبو العباس الأعجمي:

أستاذ كبير، قدم من المشرق، قاصداً بلاد المغرب، مر بليبيا عام 662هـ، ومكث بطرابلس زمناً، استفاد منه كثير من الطلاب الليبيين، والزائرين أيضاً، ومما درّسه من الكتب: كتاب «المعالم»، لابن الخطيب[67].

أبو العباس الغماري:

هو أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري، شيخ تونِسيّ، جليل القدر،

---

(63) الغِمَاري: نسبة إلى غِمَار، (بغين معجمة مكسورة، وميم مفتوحة، وآخره راء مهملة)، اسم واد بنجد، وذو الغِمَار اسم موضع، ينظر: معجم البلدان: 4: 209.

(64) ينظر: أعلام من طرابلس: 115.

(65) البَسْطي: نسبة إلى بَسْطَة (بباء مفتوحة، وسين ساكنة، وطاء)، مدينة بالأندلس، ينظر: معجم البلدان: 1: 422.

(66) ينظر: أعلام من طرابلس: 159.

(67) ينظر: السابق: 112.

عالم فقيه، أديب، تولى قضاء طرابلس، وتصدر مجالس الدرس، فاستفاد منه طلاب كثيرون، كان موجوداً عام 707هـ[68].

أبو الحسين الأندلسي:

هو الفقيه أبو الحسين محمد بن إبراهيم، الأندلسي، مر على طرابلس قافلاً من الحج، فقرأ عليه الطلبة بعض تآليفه في العربية، وسمعوا شيئاً من نظمه، ورووا عنه «المُذَهَّبة» لابن المناصف[69]. (لا.ت).

أبو عبد الله القابسي[70]:

هو أبو عبد الله بن إبراهيم، أبو مسلم القابسي، نسبة إلى قابس، من بلاد تونس، فقيه، محدث، عالم، تولى قضاء طرابلس، وقد سبقته شهرته العلمية، وخبرته الواسعة بالحياة والناس، وفي طرابلس لم يقتصر على وظيفة القضاء، بل تصدر مجالس الدرس، والمناظرة، فأفاد إفادة واسعة، (لا.ت)[71].

اللَّقاني[72] وأخوه:

هما: شمس الدين اللَّقاني، وأخوه الناصر، نسبة إلى لَقانة، من بلاد مصر، كانا يُدرّسان بزاوية الشيخ أحمد الزروق، بمصراتة، مع أوائل القرن العاشر الهجري، أخذ عنهما العالم الليبي: سالم بن طاهر في مصراتة، ورحل

---

(68) ينظر السابق: 110 ـ 111.

(69) ينظر: النشاط الثقافي في ليبيا: 117.

(70) القابسي: نسبة إلى قَابِس (بفتح القاف، وكسْر الباء الموحدة)، مدينة مشهورة بتونس ينظر: معجم البلدان: 4: 289 وما بعدها.

(71) ينظر: أعلام من طرابلس: 112.

(72) اللَّقَاني: نسبة إلى لَقَانَة (بلام مفتوحة، وقاف مخفّفة معدومة، بعدها نون وتاء مربوطة): بلد بمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة، مصر، ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (ط: 3، بيروت، 1969): 1: 21، ورُوجع، في الضبط الوارد هنا، أحد أبناء لقانة نفسها فَأقرّه مع إضافة بعض المعلومات عنها.

معهما إلى مصر، ثم عاد إلى طرابلس فتصدى للتدريس بها، وكان مشاركاً في جميع علوم عصره، فانتفع بعلمه أناس كثيرون، من الليبيين، وغيرهم[73].

وعلى هذا النحو، زار ليبيا كثير من العلماء، والطلاب، فأفادوا، واستفادوا كما أوضح البحث من خلال التراجم المستعرضة هنا.

علماء ليبيون مقيمون:

من اللافت للانتباه، أن ليبيا لم تخل، على مر العصور، من وجود علماء أعلام، لهم صيت ذائع، وشهرة واسعة، ولم تكن لهم رحلات علمية إلى الخارج، بل منهم من لم يخرج من ليبيا أصلاً، وإنما أخذوا العلم عن علماء ليبيين، واستفادوا من العلماء الزائرين، وذلك بدون شك، يعطي صورة واضحة على مدى مشاركة ليبيا في المسيرة الثقافية العالمية لأنها لم تخل من علماء، وأدباء، ومشاركات علمية، تقل، أو تكثر، طيلة الفترة المعنية بالبحث.

ومن العلماء الليبيين الذين كوّنوا شخصياتهم العلمية في الداخل، ولم تكن لهم رحلات خارجية لطلب العلم:

أبو إسحاق الأجدابي:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد، اللواتي[74]، المعروف بابن الأجدابي، نسبة إلى أجدابيا، وُلدَ بطرابلس، وبها نشأ، وحضر مجالس العلم، وصحب مشايخ عصره، وهو يُعَد «من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم: كلاماً، وفقهاً، ونحواً، ولغة، وعروضاً ونظماً، ونثراً... ولم تكن له رحلة عن طرابلس لطلب العلم»[75].

صنف كتباً كثيرة مفيدة، منها: كفاية المتحفظ في اللغة، وكتابان في

---

(73) ينظر: أعلام ليبيا: 120.

(74) اللَّوَاتي: نسبة إلى قبيلة لَواتَة البربرية التي كانت تسكن أجدابيا، ينظر: أعلام ليبيا: 4.

(75) السابق.

العروض كبير وصغير، وكتاب في الرد على ما جاء في تثقيف اللسان، وشرح ما آخره ياء من الأسماء وغيرها كثير[76].

أشهرها: وأهمها: كفاية المتحفظ، إذ كان مثار اهتمام كثير من العلماء، حيث نقلوا عنه واعتمدوه مصدراً رئيساً في اللغة، مثل: أحمد الفيومي، في المصباح المنير، وكمال الدين الدَّميري في حياة الحيوان، ونظمه الأديب جمال الدين الطبري في نحو: (1300) ثلاثمائة وألف بيت، ومدحه العالم الأديب جمال الدين العدوي، فأجاد، حيث قال:

من كان يطلُب في الغَريب وسِيلَةً ... من شاعر أو كاتِب مُتَلفظ
أو كان يَبْغي في الكلام بلاغة ... فَلْيَحْفظَنَّ كِفَاية المتحفّظ[77]

أثنى على ابن الأجدابي كثير من العلماء، منهم مثلاً: محمد بن الطيب الشرقي، في تجديد الرواية والمجد اللغوي في بعض تصانيفه، والجلال السُّيوطي في البغية، وغيرهم.

سُئل عن علمه، من أين استفاده، ولم يرتحل، فأجاب: بأنه أخذه عن العلماء الذين كانوا يزورون ليبيا، أثناء رحلاتهم، وتنقلاتهم، مشرقيين، ومغربيين، وعن علماء ليبيا أيضاً.

كان ابن الأجدابي موجوداً في القرن الخامس الهجري، فيما بين سنتي: 444 ـ 476هـ[78].

ابن عُبيدة:

هو عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبد السّلام بن عُبيدة، أبو فارس، الطرابلسي، ليبي الأصل، عالم، فاضل، جليل القدر، قال التجاني: «ناهيك

---

(76) السابق.
(77) ينظر: أعلام من طرابلس: 119، والنشاط الثقافي في ليبيا: 273.
(78) ينظر: أعلام ليبيا: 4 ـ 5، وأعلام من طرا بلس: 116 وما بعدها.

من رجل قد نال من المعارف ما اشتهى، وحاز فيما حاز من العلوم الأصولية، والفرعية، الغاية، والمنتهى، حضرتُ درسه بمسْجد مجاور لداره، فرأيت رجلاً متضلعاً من العلم. . . حسن العبارة، مشاركاً في علوم جمة. . . وليس له رحلة عن بلده، إلا إلى الحج في عام ثلاثة وسبعمائة. . . »[79].

أخذ أكثر علومه عن علماء بلده، وفي مقدمتهم: أبو موسى عمران بن موسى، الطرابلسي واستفاد كثيراً من الأساتذة الزائرين، كان موجوداً عام 707هـ[80].

عبد الرحمن البشت:

هو عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم: الشهير بيربوع بن مالك السِّناني، السّلمي من علماء الزاوية الغربية، وفضلائها، تلقى العلم عن علماء ليبيين، منهم: الشيخ أبو جعفر الجنزوري، ولم تذكر له المصادر، التي أمكن الاطلاع عليها، رحلة إلى الخارج، لطلب العلم.

كان مبرزاً في الفضل، والوجاهة، والعلم، والولاية، (ت 899هـ)، ودفن بمسجده بقرية الأبشات[81].

عبد العزيز الأنصاري:

هو عبد العزيز بن محمد، الطرابلسي، الأنصاري، كان تاجراً، وفقيهاً له حظ من العلم، وباع متسع في الأدب، لم تُذكر له رحلة لطلب العلم، كان موجوداً عام 916هـ[82].

---

(79) رحلة التجاني: 254 ـ 255.

(80) ينظر: أعلام ليبيا: 179، وأعلام من طرابلس: 95 وما بعدها.

(81) ينظر: أعلام ليبيا: 161.

(82) ينظر: السابق: 179.

علي العَوْسَجي[83]:

هو علي بن عبد الحميد العوسجي، من بلدة الحرشا[84]، بالزاوية، كان شيخاً وقوراً وعالماً جليلاً، حفظ القرآن بالروايات السبع، وعلَّم أبناءَ المسلمين في بلدته، حتى إنه اشتهر: «مؤدب الصِّبيان»، شارك في علوم كثيرة، ورد في ترجمة ابنه عبد الحميد الآتي ذكرهُ، أنه أخذ عن والده (12) اثني عشر علماً.

يقال له: أبو حُميرة، نسبة إلى حمارة كثُر ركوبه لها، لقضاء حوائجه، لما تقدمت به السن، لم تذكر له المصادر، التي بين أيدينا، رحلة إلى الخارج لطلب العلم، (ت 425هـ)[85] عاش (150) خمسين ومائة سنة، ودُفن بداره الملتصقة بمسجده، وقبره الآن[86] صار داخل سور المسجد.

ابن أبي عُجَيلَة:

هو علي بن أبي عُجيلة بن محمد، من علماء العجيلات[87]، قضاء الزاوية الغربية عالم، ناسك، رفيع القدر، تفقه في علوم كثيرة، منها مثلاً: المنطق، والنحو، والفقه، والتوحيد، وسواها، صحب الشيخ عبد السلام

---

(83) العَوْسَجي: نسْبة إلى قبيلة العواسج، من قبائل حِمْيَر، كانت تسْكن بلاد اليمن، ويرجح الزاوي أن للشيخ علي العَوْسجي صلةَ نسب بهذه القبيلة من أحد أجداد الشيخ نبيل، الذي هو من أجداد الشيخ علي، ويفنِّد ما يُقال: من أن يوسف بن نبيل، جَدَّ العواسج، وضعته أمّه في شجرة عوسج، خوفاً عليه من العدو، ويقول: بأن هذه الرواية ليس لها سند تاريخي، ولا تثبت أمام النقد العلمي، وهو الرأي الذي يقبله العقل، والمنطق، إلا إذا أثبتت بسند صحيح رواية العوسجة هذه.. ينظر: أعلام ليبيا: 208 هامش.

(84) الحَرْشا: قرية من قرى الزاوية، تقع غربيها بنحو (3) ثلاثة كيلومترات، والزاوية مدينة كبيرة تقع إلى الغرب من مدينة طرابلس بنحو (43) ثلاثة وأربعين كيلومتراً، ينظر: معجم البلدان الليبية: 112، 150.

(85) ينظر: أعلام ليبيا 208.

(86) 1999.

(87) العُجَيْلات: مدينة من مُدن قضاء الزاوية الغربية، تبعد عنها، إلى الغرب، بحوالي (35) خمسة وثلاثين كيلو متراً.

الأسمر عام 927هـ، واستفاد منه، لم تُذكر له رحلة لطلب العلم خارج ليبيا، (ت 989هـ)[88].

يوسف المليلي[89]:

هو يوسف بن علي بن محمد بن حسين، المليلي، عرف بالمحفوظي[90]، من علماء الطويبية[91]، من قضاء الزاوية الغربية، فقيه، عالم، حفظ القرآن الكريم في صغره وأخذ النحو، والمنطق، عن أكابر علماء طرابلس، له معرفة بسائر علوم عصره، تتلمذ للشيخ عبد السلام الأسمر عام 953هـ، لم تُذكر له رحلة لطلب العلم خارج ليبيا، (ت 989هـ)[92].

عبد الحميد العوسجي:

هو عبد الحميد بن علي بن عبد الحميد العوسجي، حفظ القرآن الكريم عن والده واشتهر بحفظه، وتجويده بالقراءات السَّبع، كان عالماً، ورعاً، تفقه في علوم كثيرة ونُقل عن البرموني[93]: أنه أخذ عن والده (12) اثني عشر علماً، وأخذ عن الشيخ عبد السلام الأسمر عام 958هـ، لم تُذكر له رحلة إلى الخارج، لطلب العلم، (ت 999هـ)[94].

وغيرهم كثير من العلماء الليبيين، ممن لم تساعدهم ظروفهم على الهجرة

---

(88) ينظر أعلام ليبيا: 204.

(89) المليلي: نسبة إلى (مَليلَة) (بميم مفتوحة، ولام مكسورة، وياء ساكنة، فلام مفتوحة)، مدينة بالمغرب قرية من سبتة، على ساحل البحر، ينظر: معجم البلدان: 5: 197.

(90) المحفوظي: لعلها نسبة إلى جده، محفوظ بن عباس المليلي، كما تشير سلسلة النسب، ينظر: أعلام ليبيا: 363.

(91) الطُوَيْبية: بلدة من قضاء الزاوية الغربية، تقع إلى الجنوب الشرقي منها بنحو (15) خمسة عشر كيلومتراً.

(92) ينظر: أعلام ليبيا: 363.

(93) هو كريم الدين البرموني، المصراتي، مؤرخ ليبي، كان موجوداً عام 998هـ معاصر للشيخ عبد الحميد العوسجي، والشيخ عبد السلام الأسمر، ينظر: أعلام ليبيا: 255 وما بعدها.

(94) ينظر: السَّابق: 157.

لطلب العلم في الخارج فكوَّنوا أنفسهم داخلياً، إذ وجدوا في العلماء الليبيين والزائرين ما يسد حاجتهم ويغنيهم عن السَّفر، وقد نال بعضهم شهرة علمية واسعة، مثل: ابن الأجدابي، وابن عبيدة.

علماء ليبيون في الخارج:

لعله من تمام البحث هنا، الإجابة عن سؤال، قد يدور في الذهن، حول مدى أهمية الأساتذة الليبيين، وتمكنهم من العلم، وشهرتهم خارج بلادهم، فهل وجد أساتذة ليبيون بلغوا درجة عالية من العلم، أهّلتهم لمنافسة غيرهم من كبار العلماء، خارج ليبيا؟ وإن وُجدوا، فهل أثبتوا جدارتهم؟ وطاولوا نُظراءهم؟...

ذلك ما سنعرفه من خلال متابعة أجزاء من سِير بعض الشخصيات الليبية، العلمية، والأدبية خارج بلادهم، على النحو التالي:

محمد الدَّسْبي:

هو محمد بن الحسن ابن أبي الدَّسْبي، الطرابلسي، نسبة إلى طرابلس ليبيا، كان عالماً رفيع القدر، تولى قضاء طرابلس، ثم استدعاه الوزير يعقوب بن كَلَسْ[95]، إلى مصر فأمره بالنظر في الأحكام، وفوض إليه قضاء دمياط، وبلبيس، والفَرفا، وغيرها عوضاً عن محمد بن النعمان[96]، كان موجوداً عام 396هـ[97].

---

(95) هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن كلس، تقلب في مناصب الدولة من عهد كافور الإخشيدي، والمُعزّ الفاطمي، وابنه العزيز، عالماً فقيهاً، (ت: 380) ينظر: الأعلام 9: 267.

(96) هو محمد بن النعمان بن محمد، القيرواني، الإفريقي، المعروف بابن حَبُّون، أديب، فقيه، مؤرِّخ، كان مهيب الجانب وقوراً، وُلي قضاء مصر، نال حُظوة عالية عند العزيز الفاطمي، وابنه من بعده، وبقي في منصب القضاء إلى آخر حياته، (ت: 389هـ)، ينظر السابق: 7: 348.

(97) ينظر: أعلام ليبيا: 370.

إبراهيم البرقي:

هو إبراهيم بن أحمد بن جعفر الأزدي، الطرابلسي مولداً، البرقي نشأة، وسكناً، قدم الأندلس، وصَحِبَ منصور بن عباس، وعمره إذ ذاك (41) إحدى وأربعون سنة، أخذ عنه أبو إسحاق بن شنظير، كان موجوداً سنة 371هـ[98].

عبد الرحمن الطرابلسي:

هو عبد الرحمن بن مكي بن عبد الرحمن، الطرابلسي، ثم الإسكندراني عالم كبير، ذو شهرة واسعة، «انتهى إليه عُلُوُّ الإسناد بالديار المصرية»[99]، توفي بمصر عام 651هـ[100].

عمران الطرابلسي:

هو عمران بن موسى بن معمر، الطرابلسي، إمام عَلَم، وفقيه بصير بالأحكام، وُلِّي قضاء طرابلس، والإمامة، والخطابة، بجامعها الأعظم[101]، ثم نُقل إلى تونس، فتولى قضاءها، وتوفي بها عام 660هـ. وهو لا يزال في منصب القضاء[102].

أبو علي الطرابلسي:

هو أبو علي بن موسى الطرابلسي، فقيه، عالم، كاتب بارع، أديب ماهر أخذ عن أبي زكريا البرقي، ولازمه، والتحق معه، بالاستدعاء إلى تونس، ثم

---

(98) ينظر: السَّابق: 3.

(99) السابق: 160.

(100) ينظر: السابق.

(101) جامع طرابلس الأعظم: يقع في وسط مدينة طرابلس، بدأ ببنائه بنو عُبيد، وأتمه خليل بن إسحاق عام، 30هـ، لا وجود له الآن (1999) ينظر: معجم البلدان الليبية: 91 ـ 92، ويشير المصراتي إلى أنه أقيم مكانه مسجد أحمد باشا الموجود حالياً بسوق المشير، ينظر: أعلام من طرابلس: 124.

(102) ينظر: أعلام ليبيا: 240.

وُلي القضاء في مواضع من إفريقيا، وأُسند إليه الإشراف على خزانة الكتب العامة بتونس، وكانت تضم (30,000) ثلاثين ألف مجلد، (ت 683هـ)[103].

ابن أبي الدنيا:

هو عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا، الطرابلسي، عالم جليل، رفيع القدر، ذائع الصيت، وأديب بارع، له شعر جيد، رحل في طلب العلم إلى مصر، وتونس ثم عاد إلى طرابلس، وما كان يستقر به المقام، حتى استدعاه الأمير أبو زكريا بن حفص[104]، إلى تونس عام 671هـ، وولاه القضاء، وأسند إليه، بجانب ذلك، الخطابة في الجامع الأعظم[105]، وكان هذا المركز بعد الخلافة، والإمارة مباشرة، «كان مركزاً عظيماً ومنصباً خطيراً، وكان له دخل في تصريف الأمور، وسياسة الدولة»[106]، (ت 684هـ)[107].

إبراهيم المصراتي[108]:

هو إبراهيم بن عبد السلام بن عبد الغالب، المصراتي، نسبة إلى مصراتة، كان صاحب أدب، وفصاحة، وشجاعة أدبية منقطعة النظير، أهلته لأن

---

(103) ينظر: السّابق: 22 ـ 23.

(104) هو أبو زكرياء يحيى الثاني الحفصي، الذي آلت إليه الخلافة عام 675هـ، ينظر: د. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي (ط: 15، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1995): 4: 335 ـ 340، مع ملاحظة أن استدعاء أبي زكريا لابن أبي الدنيا للمرة الثانية كان عام 679، أما التاريخ المذكور في الترجمة (671) فلعله تاريخ الزيارة الأولى، لأن المترجم له زار تونس مرتين، ينظر: الطاهر المعموري، جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، (ط: 1، الدار العربية للفكر 1930): 58.

(105) الجامع الأعظم: هو جامع الزيتونة، ينظر: أعلام من طرابلس: 91، و: جامع الزيتونة ومدارس العلم: 49 وما بعدها.

(106) السَّابق.

(107) ينظر السَّابق: 85 وما بعدها، وأعلام ليبيا: 154 ـ 155.

(108) المصراتي: نسبة إلى مصراتة، مدينة ساحلية كبيرة، تقع شرقي مدينة طرابلس بنحو (215) خمسة عشر ومائتي كيلومتر، اشتهرت منذ القدم بالنشاط التجاري، ينظر: معجم البلدان الليبية: 316 وما بعدها.

يصبح خطيباً لمسجد القيروان بتونس، «والخطابة في القيروان لم تكن بالأمر السّهل، فلا يقدر عليها، ولا يُرشَّح لها، ولا يقوم بأعبائها، إلا العالِم المتضلِّع، والفقيه المقتدر، . . فقد كانت مدينة القيروان مزدحمة برجال الفقه، والشريعة، وفيها مدارس، ومساجد، ازدهرت بالحركة العلمية، والثقافية»[109] وهكذا استطاع هذا العالم الليبي أن يشق طريقه، ويثبت وجوده بين نظرائه من علماء عصره (ت 704هـ)[110].

ابن منظور[111]:

هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد. . . بن منظور، العلامة الجِهْبذ، الأديب، الشاعر، النحوي، اللغوي، المؤرخ، المحقق، صاحب معجم لسان العرب، بلغت آثاره بخطه (500) خمسمائة مجلد.

تولى قضاء طرابلس سنين طويلة، ثم رحل إلى مصر، فوُلِّي فيها رئاسة ديوان الإنشاء، وبقي في هذه الوظيفة حتى آخر حياته، (ت 711هـ)[112].

أبو موسى الطرابلسي:

هو أبو موسى بن عمران الهواري[113]، الطرابلسي، عالم فقيه، تولى قضاء طرابلس، نيّفاً وثلاثين سنة، كان فيها مثال العدل، وحسن السيرة والأخلاق، ثم أرسل إليه الخليفة إبراهيم بن المنتصر الحفصي[114]، عام

---

(109) أعلام من طرابلس: 134 ـ 135.

(110) ينظر السَّابق: 134 وما بعدها، وأعلام ليبيا: 8.

(111) ذكر المؤرخ الليبي أحمد النائب، في كتابه (المنهل العذب): أن ابن منظور ليبي صميم، فهو ينتمي إلى أسرة (ابن مكَرَّم)، وهذه الأسرة ترجع في نسبها إلى (رُويفع الأنصاري)، ورويفع هذا كان أميراً على طرابلس ليبيا، ولاّه عليها معاوية بن أبي سفيان عام 46هـ، وتوفي وهو أمير عليها، وقبره مشهور إلى اليوم ببرقة (مدينة البيضاء)، ينظر، المنهل العذب: 156 وما بعدها، وللزاوي رأي واضح في الموضوع، ينظر أعلام ليبيا: 299 وما بعدها.

(112) ينظر: أعلام ليبيا: 299 وما بعدها.

(113) الهواري: نسبة إلى قبيلة هوارة، المشهورة.

(114) هو الخليفة إبراهيم بن أبي بكر بن يحيى الحفصيّ أبو إسحاق، تولىٰ الخلافة عام 75هـ، (ت: 770هـ)، ينظر: الأعلام: 1: 26.

758هـ، فولاه القضاء بتونس، فبقي به نيفاً وعشرين شهراً[115]، نال شهرة واسعة، (ت 760هـ)[116].

محمد الزليطني[117]:

هو محمد بن أحمد الزليطني، كان عالماً ورعاً، حريصاً على نفع الناس، ذا جاه ومكانة عند الأمراء، رحل إلى تونس لطلب العلم، كان خطيباً، وإماماً بجامع الزيتونة غير منازع، (ت 808هـ)[118].

حلولو الوامح:

هو أحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الحق، الزليطني، عالم، فقيه، أصولي، له مؤلفات كثيرة، تولى القضاء في طرابلس، ثم عزل عنه، فذهب إلى تونس فأسندت إليه مشيخة المدارس، كان موجوداً عام 895هـ[119].

الحطَّاب الكبير:

هو محمد بن عبد الرحمن بن حسين بن محمد الحطَّاب، الرُّعَيْني[120]، المعروف بالطرابلسي. ولد بطرابلس، وبها نشأ، وأخذ علومه الأولى، ثم

---

(115) في أعلام من طرابلس: 95: «نيفاوعشرين عام... وتوفي الهواري... 758هـ) والصواب ما ورد في أعلام ليبيا: ص28: «نيفاً وعشرين شهراً»، يؤيد ذلك ما جاء في المنهل العذب: ص168، والمنهل أصل لهما معاً، ولعل في الأول خطأ مطبعي لم ينتبه إليه المؤلف.

(116) ينظر: أعلام ليبيا: 28.

(117) الزليطني: نسبة إلى زليطن: مدينة ساحلية كبيرة، بها مقام الشيخ العالِم عبد السلام الأسمر تقع شرقي مدينة طرابلس بنحو (157) سبعة وخمسين ومائة كيلومتر، ينظر: معجم البلدان الليبية: 170 وما بعدها.

(118) ينظر: أعلام ليبيا: 264.

(119) ينظر: أعلام ليبيا: 37 ـ 38.

(120) الرُّعيني: لعله من النسبة إلى (رُعَيْن)، اسم موضع باليمن، أو من النسبة إلى (الرَّعْناء) اسم من أسماء البصرة، سميت به لتقلب هوائها بين الحرارة، والبرودة، في اليوم الواحد إلى درجة أن سكانها يضطرون إلى التقلب مع الجو في لباسهم، وشرابهم، أو من النسبة إلى (الرَّعَن)، وهو الأنف العظيم المتقدم من الجبل، ينظر: معجم البلدان: 3:52، . فربما يكون أحد أجداد المترجم له من اليمن، أو من العراق، أو يكون نُسِب إلى (الرَّعَن)، لتقدمه في العلم، وتبحره فيه. والأخير أقرب إلى الصواب، لأنه ورد في ترجمته في الضوء اللامع: أنه الرعيني الأندلسي الأصل، المالكي، نزيل مكة، ينظر أعلام ليبيا: 309 وما بعدها.

تكررت رحلاته إلى مكة، ومصر، للحج وطلب العلم، وأخيراً استقر بمكة، وأكمل علومه فيها، وتصدر مجالس الدرس، وتولى رئاسة المذهب المالكي بالحجاز، ثم عاد إلى ليبيا. وتوفي بها عام 945هـ[121]، ودفن بزاويته بالقرب من تاجوراء[122].

أبو عبد الله الخروبي:

هو محمد بن علي الخروبي، أبو عبد الله، وُلد بقرية (قرقارش)، إحدى ضواحي مدينة طرابلس في بيت علم مشهور، أخذ علومه الأولى عن مشايخ طرابلس، كان فقيهاً، محدثاً، مفسراً عالماً واسع المعرفة، له تآليف كثيرة، ارتحل إلى الجزائر، وأقام بها، وكان ذا مكانة عالية، ومنزلة رفيعة عند الأمراء، والحكام، سافر إلى المغرب الأقصى مرتين، في وساطة بين ملوك المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، بقصد إصلاح ذات البين، تصدر مجالس الدرس في المغرب الأقصى، والجزائر، واستفاد منه كثير من الطلاب هناك، (ت 963هـ)[123].

وغيرهم كثير من علماء ليبيا، ممن كانوا يولّون مناصب دينية، وإدارية، خارج بلادهم، وفي ذلك دليل واضح على رفعة مكانة العلماء الليبيين، وأهليتهم لتولي أعلى المناصب في الخارج، فالعالِم لا تحده حدود، ولا تعرقله قيود، فعالَمه أوسع من كل العوالم، وبمقدار حاله من العلم، والأدب، وحُسن السِّيرة، يكون جاهه، وتكون منزلته داخل بلده، وخارجها، لا فرق، دون مراعاة محل الميلاد، والنشأة الأولى والآفاق الإقليمية الضيقة.

الخاتمة:

وخلاصة القول هنا: فإن البحث أوضح أن ليبيا لم تكن بمعزل عن

---

(121) ينظر: السابق.

(122) تاجوراء، وتاجورة: ضاحية من ضواحي طرابلس، تقع إلى الشرق منها بنحو (15) خمسة عشر كيلومتراً، ينظر: معجم البلدان الليبية: 75 وما بعدها.

(123) ينظر: أعلام ليبيا: 286 وما بعدها.

ميادين العلم، والثقافة، وأنه كان بها علماء أعلام، في مختلف ميادين المعرفة، على مر العصور الإسلامية، وإن كان ما أوردته المصادر من معلومات عنهم، وعن بيئاتهم العلمية وأجوائهم الثقافية، أقل بكثير مما أوردته عن أمثالهم في بعض البلدان العربية الأخرى كمصر، والمغرب العربي، عموماً، والأندلس.

وما جاء في هذا البحث، إنما هو مجرد أمثلة للأسس التي قامت عليها الحياة العلمية والثقافية في ليبيا، خلال فترة الأعصر الإسلامية، لعل البحاث يجدون فيها علامات دالة ينطلقون منها إلى الدراسة، والكشف عن حياة علمية، وثقافية أوسع مدى، وأعمق جذوراً، سترها عنا طول الزمن، وإهمال الدارسين قديماً، وحديثاً.

والله الموفق